

تعريف القرآن ووصفه

س: ما تعريف القرآن؟

ج: القرآن: هو كلام الله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ باللفظ والمعنى، بواسطة جبريل، المتعبد بتلاوته، وإعجاز الخلق عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه، المنقول إلينا نقلاً متواتراً وهو كلام الله منزلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مسموع بالأذان، فالاشتغال بالقرآن من أفضل العبادات سواء أكان بتلاوته أو بتدبر معانيه فهو أساس الدين، وقد أودع الله فيه علم كل شيء فإنه يتضمن الأحكام والشرائع والأمثال والحكم، والمواعظ والتاريخ، ونظام الكون، فما ترك شيئاً من أمور الدين إلا بينه، ولا من نظام الكون إلا أوضحه، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ . [انظر البرهان في تجويد القرآن - للشيخ محمد صادق قمحاوي].

و«قرأ»: تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة: مصدر قرأ قراءة وقرأناً. قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبَعَثَ فَزَعَهُ أَنَّهُ﴾ [القيامة: ١٧-١٨].

أي قراءته، فهو مصدر على وزن «فعلان» بالضم كالغفران والشكران، تقول: قرأته قرءاً وقراءة وقرأناً، بمعنى واحد. سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر. وقد خص القرآن بالكتاب المنزل على محمد ﷺ فصار له كالعلم الشخصي ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن، وعلى كل آية من آياته، فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول إنه يقرأ القرآن: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وذكر بعض العلماء أن تسمية هذا الكتاب قرأناً من بين كتب الله لكونه جامعاً

لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]. وقوله: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وذهب بعض العلماء إلى أن لفظ القرآن غير مهموز الأصل في الاشتقاق، إما لأنه وضع علمًا مرتجلًا على الكلام المنزل على النبي ﷺ وليس مشتقًا من «قرأ»، وإما لأنه من «قرن» الشيء بالشيء إذا ضمه إليه، أو من «القرائن» لأن آياته يشبه بعضها بعضًا فالنون أصلية - وهذا رأي مرجوح - والصواب الأول.

والقرآن الكريم يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص. بحيث يكون تعريفه حدًا حقيقيًا، والحد الحقيقي له هو استحضاره معهودًا في الذهن أو مشاهدًا بالحس كأن تشير إليه مكتوبًا في المصحف أو مقروءًا باللسان فتقول: هو ما بين هاتين الدفتين، أو تقول: هو من ﴿يَسْمِعُ أَقْوَامًا زَكِيًّا﴾ [الناس: ٦].

ويذكر العلماء تعريفًا له يقرب معناه ويميزه عن غيره، فيعرفونه بأنه: «كلام الله، المنزل على محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته».

ذ «الكلام» جنس في التعريف، يشمل كل كلام.

وإضافته إلى «الله» يخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة.

و «المنزل» يخرج كلام الله الذي استأثر به سبحانه ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

وتقييد المنزل بكونه «على محمد ﷺ» يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما.

و «المتعبد بتلاوته» يخرج قراءات الآحاد، والأحاديث القدسية - إن قلنا: إنها

منزلة من عند الله بألفاظها - لأن التعبد بتلاوته معناه: الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك.
[انظر مباحث في علوم القرآن - للأستاذ مناع القطان].

س: وضع منة الله على البشرية بإنزال القرآن على محمد ﷺ؟

ج: من فضل الله على الإنسان أنه لم يتركه في الحياة يستهدي بما أودعه الله فيه من فطرة سليمة، تقوده إلى الخير، وترشده إلى البر فحسب، بل بعث إليه بين فترة وأخرى رسولاً يحمل من الله كتاباً يدعو إلى عبادة الله وحده، ويشر وينذر، لتقوم عليه الحجة ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وظلت الإنسانية في تطورها ورقبها الفكري والوحي يعاودها بما يناسبها ويحل مشاكلها الوقتية في نطاق قوم كل رسول، حتى اكتمل نضجها، وأراد الله لرسالة محمد ﷺ أن تشرق على الوجود، فبعثه على فترة من الرسل؛ ليكمل صرح إخوانه الرسل السابقين بشريعته العامة الخالدة، وكتابه المنزل عليه، وهو القرآن الكريم... «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون منه، ويقولون: لولا هذه اللبنة، فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين» [متفق عليه].

فالقرآن رسالة الله إلى الإنسانية كافة، وقد تواترت النصوص الدالة على ذلك في الكتاب والسنة.

﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِيَّي رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

«وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة» [متفق عليه].

ولن يأتي بعده رسالة أخرى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ

وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

فلا غرو من أن يأتي القرآن وافيًا بجميع مطالب الحياة الإنسانية على الأسس الأولى للاديان السماوية. ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وتحدى رسول الله ﷺ العرب بالقرآن، وقد نزل بلسانهم، وهم أرباب الفصاحة والبيان، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، فثبت له الإعجاز، وبإعجازه ثبتت الرسالة.

وكتب الله له الحفظ والنقل المتواتر دون تحريف أو تبديل، فمن أوصاف جبريل الذي نزل به: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

ومن أوصافه وأوصاف المنزل عليه: ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْمَيِّينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢٥]. ﴿إِنَّهُمْ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩].

ولم تكن هذه الميزة لكتاب آخر من الكتب السابقة لأنها جاءت موقوتة بزمن خاص، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُم لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وتجاوزت رسالة القرآن الإنس إلى الجن: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصُرُوهُ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِنَّ طَرِيقَ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أٰجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣١].

والقرآن بتلك الخصائص يعالج المشكلات الإنسانية في شتى مناحي الحياة، الروحية والعقلية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، علاجًا حكيمًا؛ لأنه تنزيل الحكيم الحميد، ويضع لكل مشكلة بلسمها الشافي في أسس عامة ترسم الإنسانية خطاها، وتبني عليها في كل عصر ما يلائمها، فاكتسب بذلك صلاحيته لكل زمان ومكان، فهو دين الخلود.

والإنسانية المعذبة اليوم في ضميرها، المضطربة في أنظمتها، المتداعية في أخلاقها، لا عاصم لها من الهاوية التي تتردى فيها إلا القرآن: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۗ ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَّهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَيَحْشُرُهُ يَوْمَ الْفَيْصَمَةِ آغَمَى﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

والمسلمون هم وحدهم الذين يحملون المشعل وسط دياجير النظم والمبادئ الأخرى، فحري بهم أن ينفضوا أيديهم من كل بهرج زائف، وأن يقودوا الإنسانية الحائرة بالقرآن الكريم حتى يأخذوا بيدها إلى شاطئ السلام. وكما كانت لهم الدولة بالقرآن في الماضي، فإنها كذلك لن تكون لهم إلا به في الحاضر.

أسماء القرآن وأوصافه

س: وضع أسماء القرآن كما وردت في الذكر الحكيم؟

ج: قد سماه الله بأسماء كثيرة:

منها «القرآن».. ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقَوْمٌ﴾ [الإسراء: ٩].
 و«الكتاب».. ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠].
 و«الفرقان».. ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].
 و«الذكر»... ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].
 و«التنزيل».. ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِي ظَهْرِ اللَّيْلِ وَلَقَدْ جَاءَكَ ذِكْرُنَا بِالْبُرُوقِ﴾ [الشعراء: ١٩٢]... إلى غير ذلك مما ورد في القرآن.

وقد غلب من أسمائه: «القرآن» و«الكتاب».

قال الدكتور محمد عبد الله دراز: «روعي في تسميته «قرآنا» كونه متلوا باللسن، كما روعي في تسميته «كتابا» كونه مدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه».

وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً، أن تضل إحداها فتذكر إحداها الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر.

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداءً بنبيها؛ بقي القرآن محفوظاً في حرز حريز، إنجازاً لوعده الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند» [النبأ العظيم - ص (١٢، ١٣) - ط. دار القلم بالكويت].

س: اذكر الأوصاف التي ذكرها الله لكتابه العزيز؟

ج: وصف الله القرآن بأوصاف كثيرة كذلك:

منها «نور»... ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

و«هدى» و«شفاء» و«رحمة» و«موعظة»... ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

و«مبارك»... ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢].

و«مبين»... ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

و«بشرى»... ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

و«عزيز»... ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَنُوبٌ عَزِيزُونَ﴾ [فصلت: ١٥].

و«مجيد»... ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١].

و«بشير» و«نذير» . . . ﴿ كَتَبُ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣﴾ بَشِيرًا
وَنَذِيرًا ﴿ [فصلت: ٣-٤].

وكل تسمية أو وصف فهو باعتبار معنى من معاني القرآن.

شفاعة القرآن

س: تحدث عن شفاعة القرآن لأصحابه؟

ج: عن أبي أمامة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه». [أخرجه مسلم (٨٠٤) كتاب صلاة المسافرين - باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة].

وعن النواس بن سميان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما». [أخرجه مسلم (٨٠٥) كتاب صلاة المسافرين - باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد، ثم يقول: «أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟» فإن أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد. [أخرجه البخاري (١٣٤٧) كتاب الجنائز - باب من يقدم للحد].

